

تفسير السعدي

@ 536 @ فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم * يصهر به ما في بطونهم والجلود * ولهم مقامع من حديد * كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق * إن ^١ يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير * وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد) ^٢ يخبر تعالى عن طوائف أهل الأرض ، من الذين أوتوا الكتاب ، من المؤمنين واليهود والنصاري والصابئين ، ومن المشركين أن ^٣ سيجمعهم جميعهم ليوم القيامة ويفصل بينهم بحكمه العدل ، ويجازيهم بأعمالهم ، التي حفظها وكتبها ، وشهدها ، ولهذا قال : ^٤ (إن ^٥ على كل شيء شهيد) ^٦ . ثم فصل هذا الفصل بينهم بقوله : ^٧ (هذان خصمان اختصموا في ربهم) ^٨ كل يدعي أنه المحق . ^٩ (فالذين كفروا) ^{١٠} يشمل كل كافر ، من اليهود ، والنصارى ، والمجوس ، والصابئين ، والمشركين . ^{١١} (قطعت لهم ثياب من نار) ^{١٢} أي : يجعل لهم ثياب من قطران ، وتشعل فيها النار ، ليعمهم العذاب ، من جميع جوانبهم . ^{١٣} (يصب من فوق رؤوسهم الحميم) ^{١٤} الماء الحار جدا ، يصهر ما في بطونهم من اللحم والشحم والأعضاء ، من شدة حره ، وعظيم أمره . ^{١٥} (ولهم مقامع من حديد) ^{١٦} بيد الملائكة الغلاظ الشداد ، تضربهم فيها وتقمعهم . ^{١٧} (كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها) ^{١٨} فلا يفتر عنهم العذاب ، ولا هم ينظرون ، ويقال لهم توبيخا : ^{١٩} (وذوقوا عذاب الحريق) ^{٢٠} أي : المحرق للقلوب والأبدان . ^{٢١} (إن ^{٢٢} يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار) ^{٢٣} ، ومعلوم أن هذا الوصف لا يصدق على غير المسلمين ، الذين آمنوا بجميع الكتب ، وجميع الرسل . ^{٢٤} (يحلون فيها من أساور من ذهب) ^{٢٥} أي : يسورون في أيديهم ، رجالهم ونساؤهم أساور الذهب . ^{٢٦} (ولباسهم فيها حرير) ^{٢٧} فتم نعيمهم بذلك ، من أنواع المأكولات اللذيذات المشتمل عليها ، لفظ الجنات ، وذكر الأنهار السارحات ، أنهار الماء واللبن والعسل والخمر ، وأنواع اللباس ، والحلي الفاخر . وذلك بسبب أنهم ^{٢٨} (هدوا إلى الطيب من القول) ^{٢٩} الذي أفضله وأطيبه كلمة الإخلاص ، ثم سائر الأقوال الطيبة ، التي فيها ، ذكر ^{٣٠} ، أو إحسان إلى عبادة ^{٣١} . ^{٣٢} (وهدوا إلى صراط الحميد) ^{٣٣} أي : الصراط المحمود . وذلك ، لأن جميع الشرع كله ، محتو على الحكمة والحمد ، وحسن المأمور به ، وقبح المنهي عنه ، وهو الدين الذي ، لا إفراط فيه ولا تفريط ، المشتمل على العلم النافع ، والعمل الصالح . أو ، وهدوا إلى صراط ^{٣٤} الحميد ، لأن ^{٣٥} ، كثيرا ما يضيف الصراط إليه ، لأنه يوصل صاحبه إلى ^{٣٦} . وفي ذكر ^{٣٧})

(الحميد) ^ هنا ، ليبين أنهم نالوا الهداية ، بحمد ربهم ، ومنته عليهم ، ولهذا يقولون في الجنة ^ (الحمد الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله) ^ . واعترض تعالى بين هذه الآيات ، بذكر سجود المخلوقات له ، جميع من في السموات والأرض ، والشمس ، والقمر ، والنجوم ، والجبال ، والشجر ، والدواب ، الذي يشمل الحيوانات كلها ، وكثير من الناس ، وهم المؤمنون . ^ (وكثير حق عليه العذاب) ^ أي : وجب وكتب ، لكفره ، وعدم إيمانه ، فلم يوفقه للإيمان ، لأن الله أهانه . ^ (ومن يهن الله فما له من مكرم) ^ ولا راد لما أراد ، ولا معارض لمشيئته ، فإذا كانت المخلوقات كلها ، ساجدة لربها ، خاضعة لعظمته ، مستكينة لعزته ، عانية لسلطانه ، دل على أنه وحده ، الرب المعبود ، والملك المحمود ، وأن من عدل عنه إلى عبادة سواه ، فقد ضل ضلالا بعيدا ، وخسر خسرانا مبينا . ^ (إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم) ^ يخبر تعالى عن شناعة ما عليه المشركون الكافرون بربهم ، وأنهم جمعوا بين الكفر بالله ورسوله ، وبين الصد عن سبيل الله ، ومنع الناس من الإيمان ، والصد أيضا ، عن المسجد الحرام ، الذي ليس ملكا لهم ولا لآبائهم ، بل الناس فيه سواء ، المقيم فيه ، والطارء إليه . بل صدوا عنه أفضل الخلق محمدا وأصحابه ، والحال أن المسجد الحرام ، من حرمة واحترامه وعظمته ، أن من يرد فيه بإلحاد بظلم ، نذقه من عذاب أليم . فمجرد الإرادة للظلم والإلحاد في الحرم ، موجب للعذاب ، وإن كان غيره لا يعاقب العبد عليه إلا بعمل الظلم ، فكيف بمن أتى فيه أعظم الظلم ، من الكفر والشرك ، والصد عن سبيله ومنع من يريده بزيارة ، فما ظنكم أن يفعل الله بهم ؟ وفي هذه الآية الكريمة ، وجوب احترام الحرم ، وشدة تعظيمه ، والتحذير من إرادة المعاصي فيه ، وفعلها . ^ (وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود * وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق * ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا